(١١)

السيدة ميمونة بنت الحارث رضى الله عنها

فى العام السابع الهجرى قصد النبى ﷺ مكة، ومعه ألفان من أصحابه، ليؤدوا عمرة القضاء تنفيذاً لشروط الصلح الذى كان قد عقده مع قريش فى العام السادس الهجرى - عام الحديبية - فدخل مكة هو وأصحابه، واعتمروا، وقضوا فيها ثلاثة أيام لم تتعرض لهم قريش بسوء، بل تركوا بيوتهم بمكة، وأقاموا فى خيام على مشارفها رهبة من النبى وأصحابه، وفى هذه المدة القصيرة أوقع الله حب رسوله البالغ من العمر ستين عاماً، أوقع الله حبه فى قلب امرأة أرمل مات عنها زوجها، ولم تستطع أن تسيطر على مشاعرها، وهى برة بنت الحارث، فحدَّثت أختها الكبرى لبابة بنت الحارث زوج العباس بن عبد المطلب عم النبى ﷺ، وهى أم الفضل ابن العباس، أول امرأة تدخل فى الإسلام بعد خديجة - رضى الله عنها.

أخبرت لبابة زوجها العباس بما حدثتها به شقيقتها برة بنت الحارث، وسرعان ما ذهب العباس إلى ابن أخيه محمد ﷺ بما أخبرته به زوجه لبابة فى شأن أختها، وكان ذلك فى اليوم الثالث

من قدومه مكة لعمرة القضاء، وهو آخر يوم مسموح له فيه بالإقامة فى مكة، حسب «بنود» الصلح الذى تم عام أول.

فوافق عليه السلام على خطبتها فى اليوم نفسه، فكان العباس وكيلاً عنه فى العقد، وكان جعفر بن أبى طالب وكيلاً عنها لأنه كان زوجاً لأختها من أمها، وهى أسماء بنت عميس، وأراد النبى أن يتم مراسم الزواج وهما بمكة، فاستمهل قريشاً مد السماح له بالإقامة «يوماً» لكن قريشاً رفضت خشية أن يدخل الناس فى الإسلام متأثرين بالنبى وأصحابه.

فخرج رسول الله ﷺ وفاء بشرط الصلح المبرم، وتمت مراسم الزواج بعد الخروج من مكة، بالمكان المسمى إلى الآن بـ(التنعيم) فكانت آخر أمهات المؤمنين، وبعد الزواج غيَّر اسمها من (برة) إلى (ميمونة)، وهذا يذكرنا بما صنعه مع أم المؤمنين برة بنت الحارث ابنة سيد بنى المصطلق، فقد كان اسمها برة بنت الحارث فغيره إلى (جويرية بنت الحارث)، وربما كان السر وراء هاتين التسميتين أن برة بنت الحارث سماها (جويرية)؛ لأنها أجارت قومها من الأسر والشرك.

وأن «برة بنت الحارث» المكية سماها (ميمونة) ليمن الوقت الذى مكّن الله رسوله وأصحابه فيه من العودة إلى مكة والطواف بالبيت العتيق، والسعى بين الصفا والمروة بعد حرمان دام سبع سنين.

سبب الزواج من (ميمونة):

ميمونة هذه تنتمى إلى «أسرة» عريقة فى الإيمان والفضل، فشقيقتها لبابة بنت الحارث زوج عم النبى ﷺ، وأم أولاده - رضى الله عنهم - وكفاها فضلاً أنها المؤمنة الأولى من النساء بعد خديجة أم ولَدَى النبى - عليه السلام -: القاسم وعبد الله وأم بناته الأربع: رقية وسكينة وأم كلثوم وفاطمة الزهراء.

وأخوات جويرية من أمها زوجات لأبى بكر الصديق - رضى الله عنه - وحمزة بن عبد المطلب عم النبى، وجعفر وعلى ابنى أبى طالب عم النبى ﷺ.

وأختها من أمها: زينب بنت خزيمة كانت زوجاً لرسول الله ﷺ، وهى «أم المساكين» كما تقدم، ولم تمكث فى بيت النبى طويلاً إذ توفاها الله بعد شهرين أو ثلاثة أشهر من زواجه بها.

ولم يتزوج النبى أختين قط إلا زينب وميمونة والسعد وعد، يهبه الله لمن يشاء من عباده، وقد كانت ميمونة التى بنى بها رسول الله ﷺ بعد وفاة أختها زينب، كانت من أشد أمهات المؤمنين براً وصلة وتقوى، وبعد هذا نقول فى ثقة: إن سبب زواج النبى منها كان محصوراً فى أسباب كلها نبل، وهى:

التكريم، والمواساة، وجبر الخاطر، لا كما يدعى الحاقدون أنه كان زواج تهالك على المتع والملذات وإشباع الشهوة الجنسية.

وبعد هذا العرض الموجز لزيجات النبى الإحدى عشرة ﷺ نضع جدولاً نلخص فيه تلخيصاً صامتاً تلك الأسباب النبيلة وراء هذه الزيجات، ثم نعقب عليه تعقيباً قصيراً، ثم ننتقل - كما وعدنا - إلى الحديث - الموجز - عن الأسباب العامة وراء هذه الزيجات المباركات.

الجدول

م	الزوجة	أسباب التزوج منها	ترتيبها فى البيت النبوى
١	السيدة خديجة	الاستجابة لرغبتها	الأولى
٢	السيدة سودة	المواساة والرحمة والحماية	الثانية
٣	السيدة عائشة	التكريم والوفاء والمكافأة	الثالثة
٤	السيدة حفصة	التكريم والوفاء والمكافأة والمواساة	الرابعة
٥	السيدة زينب بنت خزيمة	التكريم والمواساة والحماية	الخامسة
٦	السيدة أم سلمة	التكريم والمواساة والحماية	السادسة
٧	السيدة زينب بنت جحش	التشريع ومحاربة البدع	السابعة
٨	السيدة جويرية	المواساة والرحمة	الثامنة
٩	السيدة صفية	المواساة والرحمة	التاسعة
١٠	السيدة أم حبيبة	التكريم والمكافأة والمواساة والحماية	العاشرة
١١	السيدة ميمونة	التكريم والمواساة	الحادية عشرة

OBEIKAN.COM

هذا ما أقـام عليه المبشـرون والمستشـرقون الدنيا ولم يقـعدوها وكأن محمداً ابتدع بدعة قوم لوط شناعة وقبحاً، ومع أن زوجات النبى فى هذا الجدول إحدى عشرة فـهن فى الواقع سبع فحسب، لأن خديجـة توفيت بمكة، وزينب أم المساكـين عاشت عنده ثلاثة أشهـر ثم ماتت فهـاتان اثنتان، أما سـودة وأم سلمة فمـسنتان لا حاجـة بهما للأزواج ولا للأزواج حـاجة بهـما، وبقيت عـائشة وحفصة وزينب بنت جحش وجويرية وأم حبيبة وصفية وميمونة، أفمن أجل سـبع من الزوجات بعضهن تزوجـهن الرسول فى سن الشيخوخة، أمن أجل هذا يقيم خصوم الإسلام الدنيا لأن محمداً اخترق الممنوع وكفل سبع زوجات طاهرات؟!

* * *

الأسباب العامة

أما الأسباب العامة وراء تعدد زوجات النبى ﷺ فهى تقطع ألسنة الوالغين فى سيرته الطاهرة، وسيرة زوجاته الوضيئة لأنها أسباب فى جملتها وتفاصيلها علامات سمو لا مهاوى انحطاط ومدارج كمال لا مزالق دناءات، فرجل مثل محمد ﷺ أوكل الله إليه ريادة الإنسانية جمعاء، فى حاجة إلى أعوان من الرجال والنساء.

فكفاه الله بأصحابه الكرام خلة الافتقار إلى الأعوان من الرجال وكفاه باجتماع أمهات المؤمنين فى بيته مؤنة الاحتياج إلى الأعوان من النساء.

والإسلام هداية للنوعين، واحتياج النساء إلى المعرفة الدينية فى تسيير شئونهن أشد من حاجة الرجال إلى تلك المعرفة، ولما كان الرجال أكثر حظوظاً فى الاختلاط بالنبى، وحضور مجالسه وسماع حديثه من النساء، كانت النساء - عموماً - أحوج ما يكن لبديل يسد تلك الحاجة، ويكون صادق النقل جيد الرواية عن رسول الهداية والرحمة.

* ولهذا كان من أول الأسباب العامة فى تعدد زوجات النبى تفقيه

نساء المؤمنين بلا حرج ولا تحفظ، لأن النساء كن يستحين أن يسألن النبى ﷺ عن شئونهن الخاصة، ومنها أحكام الحيض والنفاس والجنابة، فإذا سألته واحدة منهن عن بعض تلك الشئون تحرَّج هو من بسط الإجابة، واكتفى بإشارات ربما احتاجت إلى بيان وتفصيل.

فقد روت السيدة عائشة - رضى الله عنها - هذه الواقعة: «سألت امرأة من الأنصار النبى ﷺ عن الاغتسال من الحيض، كيف تغتسل، فقال عليه السلام - فيما قال -: خذى فرصةمُمَسَّكَة - أى قطعة قطن فيها طيب - فتطهرى بها، قالت: كيف أتطهر بها، وأخذت تكرر هذا السؤال، ويكرر هو الجواب، ولما لم تكف المرأة عن السؤال قال عليه السلام فى نبرة حادة: سبحان الله تطهرى بها! ثم تدخلت السيدة عائشة فجذبت المرأة إليها وشرحت لها مالم يستطع النبى شرحه حياء ووقاراً.

وتكرر مثل هذا الموقف من نساء أخريات.

وهنا تبدو لنا الحكمة الإلهية من إباحة التعدد للنبى - عليه السلام - فتكون أمهات المؤمنين معلمات لنساء الأمة وفتياتها.

لذلك كانت النساء يخرجن من بيوتهن فى غلس الظلام ليسألن أمهات المؤمنين عن بعض شئونهن الخاصة التى يمنعهن الحياء أن يسألن فيها الرجال ولو كانوا آباءهن أو إخوانهن أو أبناءهن.

* ومن الأسباب العامة التى من أجلها عدَّد النبى زوجاتـه أنه عليه السلام أسوة حسنة للناس جميـعاً الرجال والنسـاء كما قـال عز وجل: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]، **ومصادر الأسوة الحسنة به لها جانبان:**

الأول: أقواله وأفعاله وكل تصرفـاته العامة خارج بيوته، وهذه يراها الناس ويشيع أمرها بين الحاضر منهم والغائب فلا تحتاج إلى إعلام.

الثانى: أقواله وأفعـاله وتصرفاته داخل بيوتـه، وهذه تحتاج إلى نقل وتحـديث، وبهذه المهمـة قامت أمـهات المؤمنين خـير قـيام، قصـصن على الناس كل مـا كان يدور فى بيـوته فى أداب المأكل والمشرب والملبس والنوم والعبادة، بل وما كان يقوم به عليه السلام من شئون المنزل ومساعدة زوجاته فيـما يحتجن فيه إلى المساعدة، فقد سئلت السيدة عائشة عما يشتغل به النبى داخل بيوته فأخبرت عن تطهره وعبادته، وكان مما أخبرت به أنه عليه السلام كان يكون فى مهنة أهله حتى إذا أُذن أو نودى للصلاة خرج إليها.

كما أخبرت أنه كان فى أوقات فراغه يداعب نساءه ويلاعبهن، فقد كان يسابقهن فى البيت فتسـبقه إحداهن يوماً، ثم يسبقها هو يوماً.. وهكذا.

كمـا أخبـرت عن صلاة تطوعـه فى البيت وأنهـا لم تزد على ثمانى ركعات لا فى رمضان ولا فى غير رمضان.

* ومن الأسباب العامة فى تعدد زوجاته رواية أحاديثه وإذاعتها بين الناس، وكانت السيدة عائشة أكثرهن رواية لحديث رسول الله ﷺ، بل كانت من أكثر الناس - رجالاً ونساءً - رواية لحديث رسول الله، ولم يزد عليها فى الرواية على الإطلاق إلا رجلان من أصحابه - رضوان الله تعالى عليهم - منهم أبو هريرة، كما كُنَّ يصوِّبن بعض الأخطاء فى أحاديث رواها عنه الرواة من الرجال.

وكان أصحابه يلحأون إليهن - بعد وفاته - ويسألونهن عما اختلفوا فيه أو استشكل عليهم فيجدون الجواب الشافى لديهن.

* ومن الأسباب العامة توسيع دائرة الرأى والمشورة من النوعين الرجال والنساء، أما الرجال فإن أصحابه قاموا بسد الفراغ خارج البيت، فكانت الحاجة ماسة إلى الاستئناس بآراء النساء، وهن - فى الإسلام - شقائق الرجال.

وقد أدَّت أمهات المؤمنين دوراً عظيماً فى هذا المجال ويكفى أن السيدة أم سلمة قضت على شقاق كبير حدث بين النبى وأصحابه لا يعرف له مثيل فى تاريخ علاقتهم به، وذلك بعد أن أمضى النبى شروط صلح الحديبية، ثم اعترض عليها كل الصحابة وأصروا على دخول مكة بالقوة فأصبح النبى فى معسكر رأيٍ، وهم فى معسكر رأيٍ آخر ورفضوا أن يرجعوا إلى المدينة وعسكروا فى مكانهم فدخل النبى على زوجه أم سلمة مهموماً،

فأشارت عليه بأن يترك القول ويعزم على العمل، فيقوم ويخلع ملابس إحرامه وينحر هديه ويحلق شعره ويتحلل من عمرته، قالت: إذا رأوك تفعل هذا أمامهم تابعوك، فعمل النبى بمشورتها، فلما رآه الصحابة أسرعوا فتحللوا من عمرتهم وقفلوا معه راجعين إلى المدينة.

فهذا عمل أو مشاركة فى توجيه السياسة العليا للدولة قامت بها أم المؤمنين أم سلمة - رضى الله عنها - وربما أن هذا الرأى لم يكن ليخطر ببال أم أخرى للمؤمنين، لذلك جعل الله رسوله يصطحب معه عام الحديبية أم المؤمنين أم سلمة، والله لطيفٌ لما يشاء.

وبمثل هذا الدور قامت السيدة صفية أيام حصار الخليفة عثمان ابن عفان فى داره، وأخذت تمد يد العون لعثمان - رضى الله عنه - بما خفف عنه عناء الحصار الغاشم.

* ومن الأسباب العامة فى تعدد زيجاته عليه السلام تلك العلاقات الوطيدة، والروابط القوية، والوئام الحميم التى تنشأ عن المصاهرة بين الأسر والعائلات، بل بين القبائل والجماعات، وما يترتب على ذلك من تعاون الناس ومواساة بعضهم بعضاً.

وقد تجلت هذه المعانى فى تزوج النبى ﷺ من السيدة جويرية بنت الحارث، فقد تحوَّل بسببه ذلك العداء المستحكم الذى كان يضمره بنو المصطلق ضد الإسلام والمسلمين، حتى حملوا السلاح لقتال النبى والمؤمنين به تحول ذلك العداء إلى وِئام ومودة بين

المسلمين وبينهم، بل كان له أثر عظيم فى اعتناق بنى المصطلق الإسلام عقيب مصاهرة النبى لهم، كما تقدم فى المبحث الخاص بالسيدة البارة جويرية بنت الحارث - رضى الله عنها.

وباختصار فإن اقتران رسول الله بكل زوجة من زوجاته كان لبنة فى بناء صرح الإسلام، ونوراً وهدىً على طريق الحق القويم.

* ومن تلك الأسباب العامة فيما هدانا الله إليه - ربط صاحب الدعوة ﷺ بأعباء الإدارة وحسن التوجيه - وجَعْلُه على صلة وثيقة ودائمة بالصبر وتحمل المشاق وحلول المشكلات الصعبة، سواء كان بين عامة الناس خارج بيوته أو فى حياته الخاصة بين زوجاته وبناته.

فمن المعلوم أنه عليه السلام كان يُقيم كل نسائه فى بيت واحد لا يفصل إحداهن عن الأخرى إلا غرفة نومها، وقد دلت التجارب على أن اجتماع زوجتين لرجل واحد، وإن فرِّق بينهما فى المنزل والمكان تُسببان لزوجهما متاعب لا طاقة له بها، وإذا اجتمعتا فى منزل واحد أحالتاه إلى نار موقدة. والرسول - عليه السلام - كان يجمع تسع زوجات فى دار واحدة، وبينهن من التفاوت فى السن والجمال والجنس ما بينهن، فإذا فرغ من شئون الدولة الكبرى خارج البيت اشتغل بشئون الدولة الصغرى داخل البيت، وكان لأزواجه أطوار وتقلبات، فقد يجتمعن عليه جميعاً ويرهقنه بالمطالب والرغبات، وكان يبيت غاضباً منهن كلهن إذا

أجمعن على أمر لا يريده.

وأحياناً يتوزعن معسكرات لكل معسكر منها شكاواه من المعسكرات الأخرى.

ولا ننسى تلك الأزمة الحادة التى نشأت بينه وبين زوجاته جميعاً - باستثناء خديجة، وأم المساكين اللتين كانتا قد ماتتا من قبل - فقد تقدمن يطلبن منه رفع مستوى المعيشة فى بيوته، لأن نساء الفرس والروم ليست بأولى منهن بالعيش الرغد، والملابس الفاخرة، والتحلى بالذهب والفضة وكل معدن نفيس، ثم أصررن جميعاً على تحقيق هذه المطالب فهجرهن جميعاً شهراً كاملاً لا يدخل على أية واحدة منهن حتى نزل فى ذلك قرآن يأمر النبى أن يخير زوجاته بين إرادة الحياة الدنيا وزينتها، فإن اخترنها طلقهن وسرحهن سراحاً جميلاً، ولهن من متع الدنيا ما شئن، أو يخترن الله ورسوله والدار الآخرة، فإذا اخترن الله ورسوله والدار الآخرة فعليهن أن يصبرن على الجفاف والحرمان وقسوة المعيشة، إلى هذا الحد تعرض النبى - عليه السلام - للمتاعب والمشاق داخل بيته، وكان المفروض ألا يلقى فيه إلا الراحة وهدوء البال وقرة العين واطمئنان النفس، ولكن الله خلق العظائم للعظماء، والشدائد لأولى العزم من الرسل، وهو إمامهم ﷺ.

ثم ظلت بيوته بعد أن اختارت زوجاته الله ورسوله كما كانت من قبل، لا توقد فيها نار، ولا يُطْهى فيها طعام الشهر والشهرين، وكان قوته وقوتهن التمر والماء؟! أليست هذه دولة

أخرى كان على رسول الله ﷺ أن يسوسها بالحكمة وسعة الصدر، وحسن التدبير، والتحلى بالصبر.

وقد كان مما عرض له فى بيت صفية أن شكت إليه من نسائه العربيات؛ لأنهن يعايرنها بأنها يهودية، فلم يحمل عصى ليحطم بها عظام زوجاته العربيات، ولم يتخاذل عن دفع الأذى عن صفية، ولكن بالحكمة التى تفتت الصخور، وتهد الجبال.

قال لصفية: ألست من نسل هارون أخى موسى؟ قالت: بلى.

قال: أليس موسى أخا هارون؟

قالت: بلى.

قال: أليس محمد زوجك؟ قالت: بلى.

قال: إذا قلن لك إنهن أفضل منك لأنك يهودية وهن عربيات فقولى لهن: كيف تكونن أفضل منى وأنا أبى هارون وعمى موسى وزوجى محمد؟! فلما قالت لهن ذلك ما عايرنها بعد ذلك أبداً، وقضى محمد ﷺ على هذا الشقاق بالحكمة والموعظة الحسنة، وربما كان يغضب من إحداهن فيهجرها ولا يعود لها إلا بعد استقامة أمرها، وهكذا جعل الله رسوله الكريم محمداً فى جهاد مستمر حتى فى البيت المعد للراحة والفراغ من الأعباء الجسام، وهذا هو سر عظمته بين عامة الناس، وبين أهل بيته، لم يَخْلُ وقت من أوقاته من الجهاد الساخن والهادئ، وكان فضل الله عليه عظيماً.

* * *

OBEIKAN.COM

OBEIKAN.COM

كلمة الختام

قدمنا - فى إيجاز - عرضاً للأسباب الخاصة والعامة وراء تعدد زوجات النبى ﷺ، ونضيف إلى ما تقدم ثلاث حقائق لها بهذه المواجهة صلة وأية صلة:

الأولى: أن النبى ﷺ لم يعدد زوجاته فى شرخ الشباب، وإنما عددهن فى زمن الشيخوخة، ذلك الزمن الذى يعزف فيه الشيوخ عن الشهوة الجنسية التى كانوا يهتمون بها فى وقت الشباب، كما يعزف الشباب عن الرضاع الذى كانوا يحتاجون إليه فى وقت الطفولة.

الثانية: أن النبى ﷺ ما تزوَّج بكراً قط سوى عائشة، وكان عمره حين تزوجها فوق الرابعة والخمسين، فهو أب عطوف عليها، أكثر منه زوجاً تحركه الغريزة الجنسية.

الثالثة: أن الرجل الذى تستعبده الميول الجنسية والتهالك عليها يكون من أصحاب الإسراف فى المتع الحسية من ألوان الطعام والشراب والفراش، وقد عاش محمد حتى فى شبابه عازفاً عن هذه المتع الرخيصة، والملذات الفانية، وتحمل المشاق فى جميع مراحل حياته، كان كما قال الشاعر فى وصف همم العظماء:

OBEIKAN.COM

وإذا كـــانت النفـــوس كـبـــاراً

تعـبـت فى مـرادها الأجـســام

ذلك هو محمد فى الأولين والآخـرين، ولا نقول لحاسديه إلا ما قاله الله لأسلافهم من قبل:

﴿مُوتُوا بَغَيْظِكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾

[آل عمران: ١١٩].

○ ○ ○

OBEIKAN.COM